

٦. استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لَا تَقْوُمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكُثُرُ الزَّلَازِلُ وَيَقْرَبَ الزَّمَانُ وَتَظَهَرَ الْفِتْنَ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيْكُمُ الْمَالُ فَيَفِيْضُ). رواه البخاري

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لَا تَقْوُمُ السَّاعَةُ) أي القيامة، والقيامة مذتها خمسون ألف سنة وابتدأوها بفتح الملك إسرافيل في الصور فيخرج الناس من القبور للحساب.

وقوله عليه السلام (حتى يقبض العلم) أي يموت العلماء ويكثر المهاجر أنهم صلوا الله عليه وسلم قال (إن الله لا يقبض العلم انتراعاً يترعه من العباد لكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتقروا بغير علم فضلوا وأضلوا) وفي هذا الحديث دليل على أن الشخص إذا سأله من هو ليس أهلاً للفتوى فأفتاه بغير علم فعمل بفتواه أن الصدر يحصل للمفتي وللمستفتى، وما أكثرهم اليوم.

قال الحافظ التوسي (لا يجوز لك أن تستفتني إنساناً إلا إذا كان ثقةً ذا كفاءةً في علم الدين).

وقوله عليه السلام (وتكثر الزلازل) جمع زلزلة وهي حركة الأرض واضطربتها حتى ربما يسقط البناء القائم عليها.

وقوله عليه السلام (ويتقارب الزمان) أي فيكون الزمان الطويل كالزمن القصير وهذا كلام مجمل بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذى بقوله (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ف تكون السنة كالشهر والشهر كالجامعة والجامعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرة من النار) أي كرمان يقاد الضرمة من النار، وهذا لم يحصل بعد. وقوله عليه السلام (وتطهر الفتن) أي تكثر وتتشتت.

وأما ما جاء في هذا الحديث (وهو القتل) هذا من كلام الرأوى في تفسير قول النبي (ويكثر الهرج). وقوله عليه السلام (حتى يكثُر فِيْكُمُ الْمَالُ فَيَفِيْضُ) وذلك لأنه إذا كثر القتل قلت الرجال وقلت الرغبات في الأموال وقصرت الآمال.

وقد حصل مقدمات ما ذكر النبي في هذا الحديث من كثرة الجهل وقلة العلماء إلى حد بعيد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تَقْوُمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيْكُمُ الْمَالُ فَيَفِيْضُ، حَتَّى يُهْمَ رَبُّ الْمَالِ مِنْ يَقْبِلُ صِدَقَةَ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولُ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرْبَلَ لِي فِيهِ) رواه البخاري ومسلم.

أخبر صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى سيعطي هذه الأمة، ويفتح عليها من كنوز الأرض، وأن ملك أمته سيلغ مشارق الأرض ومقارها، وعن تopian قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله روى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيلغ ملوكها ما روى لي منها وأعطيت الكتبين الأخضر والأبيض وإن سالت ربي لأمنت أن لا يهلكها سنته بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فستشيخ بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم سنته بعامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستشيخ بيضتهم ولو اجتمع عليهم من يأقطعها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم بهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً) رواه مسلم. وقد تحقق كثيراً مما أخبرنا به الصادق صلى الله عليه وسلم، فكثر المال في عهد الصحابة بسبب ما وقع من الفتوح، واقسموا أموال الفرس والروم، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز، فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله. وسيكثر المال في آخر الزمان، وهذا - والله أعلم - إشارة إلى ما سيقع في زمن المهدي ويعيسى عليه السلام، من كثرة الأموال، وإخراج الأرض لبركتها وكنوزها. ففي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تَقْيَةُ الْأَرْضِ أَفْلَادُ كَبِدِهَا أَمْثَالُ الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ : فِي هَذَا قُتِلَتْ ، وَيَجِيءُ الْفَاطِحُ فَيَقُولُ : فِي هَذَا قُطِعَتْ رَحْمِي ، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ : فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً) رواه مسلم. قال ابن حجر: أنه يتحمل أن يكون استغناء الناس عن المال وتركهم له وقت خروج النار واشتغال الناس بأمر الحشر، فلا يلتفت أحدٌ حينئذ إلى المال، بل يقصد أن يتخفف ما استطاع. وذكر أيضاً: بأن استغناء الناس عن المال لاشغالهم بأمر الحشر لا ينافي أن يكون بسبب آخر، وهو كثرة المال، كما يحصل في زمن المهدي ويعيسى عليه السلام، وبذلك يكون الاستغناء يقع في زمنين - وإن تباعداً ، بسبعين مختلفين، والله أعلم

الفتن : جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم كثُر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروره، ثم أطلقت على كل مكروره أو آيل إليه، كالإثم، والكفر، والقتل، والتحرق، وغير ذلك من الأمور المكرورة.

وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ظُهُورُ الْفَتْنَ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُلْتَبِسُ فِيهَا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، فَتَرْلَزُلُ الْإِيمَانُ، حَتَّى يَصْبُحَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبُحُ كَافِرًا، كَلَمَا ظَهَرَتْ فَتْنَةٌ، قَالَ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنَكَّشُفُ وَيُظْهِرُ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهُ، وَلَا تَرَالْفَتْنَ تَظَاهِرُ فِي النَّاسِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَتَكُونُ فَتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ الْمَاشِيِّ، وَالْمَاشِيِّ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ السَّاعِيِّ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشَرِّفَةً، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَادًا، فَلَيَعْدُ بِهِ) رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفْطَمُ الْلَّيلِ الْمُظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبُحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ الْمَاشِيِّ، وَالْمَاشِيِّ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ السَّاعِيِّ، فَكَسَرُوا قَسِّكُمْ، وَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سَيْفَكُمُ الْحَجَّارَةَ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَى أَحَدٍ مِّنْكُمْ، فَلَيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ) رواه أحمد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَّا كَفْطَمُ الْلَّيلِ الْمُظْلَمِ يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا بِيَعْبُدُ دِينَهُ بِعِرْضِ مِنَ الدُّنْيَا) رواه مسلم.

وَعَنِ الزَّيْرِ بْنِ عَدَى، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكَ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلَقَيْنَا مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «أَصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِّنْهُ» سمعته من نسكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه البخاري.

وَعَنْ هَنْدَ بْنَتِ الْحَارِثِ الْفَرَاسِيَّةِ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: اسْتَقْطِعْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ فَرَعَا، يَقُولُ: (سَبِّحَنَ اللَّهَ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَرَائِنِ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفَتْنَ، مَنْ يُوْقَطُ صَوَاحِبُ الْحُجَّرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصْلِيَنَ - رَبُّ كَاسِيَّةِ فِي الدُّنْيَا عَارِيَّةِ فِي الْآخِرَةِ) رواه البخاري ومسلم.

حدَّثَنَا أَبْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي بُشَّرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا ادْرِيسَ الْخُولَانِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانَ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكَنْتُ أَسَأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقَلَّتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَا كَنَا فِي جَاهِلَةٍ - وَشَرُّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ» قَلَّتْ: وَمَا دَخْنَهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهُدُونَ بِغَيْرِ هُدَىٰ، تَعْرِفُهُمْ وَتَنْكِرُهُمْ» قَلَّتْ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدْفُوهُ فِيهَا» قَلَّتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَفَّهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جَلْدَنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْسَّنَنِ» قَلَّتْ: فَمَا تَأْمَرْنِي إِنْ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قَلَّتْ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَّهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: «فَأُعَتَّلُ تَلْكَ الْفِرَقَ كُلُّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْضُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَ الْمَوْتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

أحاديث الفتنة كثيرة جداً، فقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّهُ مِنَ الْفَتْنَ، وأمر بالتعود منها، وأخبر أن آخر هذه الألة سيصيدها بلاه وفتنه عظيمة، وليس هنالك عاصم منها، إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين، وهن أهل السنة . وإن قلوا ، والابتعاد عن الفتنة، والتعود منها، عن زَيْدِ بْنِ ثَابَتَ، قَالَ: يَسِّمَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاطِنَتِ لَبَنِي النَّجَارِ عَلَى بَعْلَةَ لَهُ، وَتَحْنُّعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تُلْقِيْهِ إِذَا أَقْبَرَ ستَةً أَوْ خَمْسَةً أَوْ أَرْبَعَةً، قَالَ: كَذَّا كَانَ، يَقُولُ: الْجَرِيرِيُّ، فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْلَاكْبِرِ؟ ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا قَالَ: فَمَتَّى مَاتَ هُؤُلَاءِ؟ ، قَالَ: مَا تَوَافَرَ فِي الْلَّامِشَرَكِ؟ ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَلْمَةَ تُسْتَلِي فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَكُمْ تَدَافُنَا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعَ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قَالُوا: تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفَتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْفَتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قَالَ: تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ) رواه مسلم.

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر
تاريخ النشر : 16/10/2018
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com